الرمزية.. وسيلة تطال غالبية تصرفات واهتمامات حياتنا اليومية

الرمزية، وسيلة تطال غالبية تصرفات واهتمامات حياتنا اليومية سواء كنا واعين لهذا الأمر أم غير واعين له. الرموز تجتاح حياة الإنسان اليومية، بدأ بالقراءة والكتابة والتصوير وصولاً إلى الرموز المستعملة للتعبير عن العقائد الإيمانية وعلاقة الإنسان بالأبعاد الروحية، مروراً بكافة أشكال الرموز في العمليات الحسابية خلال الأعمال اليومية..

الرموز..

هل تستر المعرفة أم تكشف أسرارها؟

ونرى علوم الإيزوتيريك تستفيض بشرح الغوامض والخفايا بواسطة رمزية الأرقام والألوان والتعابير البليغة في مؤلفاتها.

لقد تناولت المواضيع الأكثر شمولية وعمقاً، وعالجت أيضاً أدق التفاصيل الحياتية والخاصة، وكشفت النقاب عن حقيقة أمور تتخطى ما هو شائع ومتعارف عليه، ووسعت المدارك عن طريق ربط ظاهر الممارسات والمألوف بحقيقة الإنسان الباطنية.

الهدف من الرمز

إن بحثنا هذا سيتناول المفهوم العام للرموز، والهدف من وجودها، ملقين الضوء على الجانب الخاص بدور الرموز في تعريف الإنسان إلى حقيقته وهدف وجوده.

يتضمن هذا البحث بعض الرموز ومعانيها الظاهرة والخافية لتقريب المفاهيم، إنما ليس الهدف شرح معنى الرموز ودلالتها أكثر منه إلقاء الضوء على أصل الرموز وحقيقتها وعلى الدور التي لعبته في الماضي، وكيف تبدلت وتطورت عبر العصور، محاولين بذلك استشفاف مستقبل الرموز في التطور البشري وذلك عن طريق المفاهيم الايزوتيريكية.

يعرّف قاموس الفلسفة الرمز بأنه صورة أو شيء يمثل أمراً مجرداً. أما موسوعة بريتانيكا فتعتبر الرمز عنصراً للتواصل يشكل مختصراً أو ملخصاً عن فكرة ما، عن شخص، أو عن مجموعة.

أقسام الرموز

تقسم الرموز إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الرموز التصويرية، الرموز التي يُعبَّر عنها بالحركات والإشارات التعبيرية، والرموز الصوتية.

تشمل الرموز التصويرية الأشكال الطبيعية وأشكال هندسية كما تتضمن ألواناً، حروفاً وأرقاماً. بعض الفلسفات ترمز بالألوان إلى مختلف فصول السنة الطقسية، وأخرى تستعمل رمزية الألوان في تصويرها للكون، وشعوب المايا مثلاً ترمز بالألوان إلى الاتجاهات الأربعة شمال جنوب شرق وغرب. أما في الأبجدية اليونانية والعبرية فتتداخل رموز الأحرف والأرقام بحيث أن كل من أحرف الأبجدية له دلالة أو مضمون رقمي.

الرموز الصوتية تتمثل إما بالموسيقى أو بصوت الإنسان نفسه، وصولاً إلى الرموز الصوتية التي تتفاعل مع الكيان اللامادي في الإنسان وتسمى مانترا (Mantra).

الرموز عن طريق الحركات التعبيرية تتمثل بحركات

بول ابي درغام
www.esoteric-lebanon.org

الأيدي في الطقوس المختلفة وبوضعية الجسد أيضاً، كأن يكون الإنسان واقفاً أو جالساً أو راكعاً. حتى مسار الشخص عند ذهابه لتأدية الطقوس أو خلال هذه الطقوس يحمل رمزية معينة. أنواع الرموز السابقة الذكر تجتمع كلها في تأدية طقوس معينة. من كلام إلى موسيقى، إلى ألوان أو حركات تعبيرية وأنغام وروائح. كلها تجتمع وتكوّن جواً ملائماً للتأمل.

الرمز وإخفاء المعرفة

ما تقدم هو تعريف لأنواع الرموز المختلفة لدى الشعوب القديمة والحديثة. لقد لعب الرمز على مر العصور دورين أساسيين تمثلا إما في إخفاء المعرفة وحجبها وإما في كشف أسرارها إذا ما توافرت مفاتيح ذلك الرمز.

في ضوء ما تقدم، يفيد كتاب الايزوتيريك «علم المعرفة ومعرفة العلم» بالتالي:

«وكأن يد القدر، بعد اندثار الأتلنتس، خبأت المعارف التي توصّل إليها إنسان تلك الأزمان مخافة من أن تقع في متناول من لا يستوعبها أو يسيء استعمالها. فأخفى الحكماء المعلومات والحقائق في رموز وأساطير وفي أقاصيص وتعابير دالة، لا يستطيع أن يقف على أسرار معانيها إلا ذوو العقول المستنيرة».

الرموز والدلالات

إن الرموز الأولية ذات الدلالة المقدسة عند الأقدمين تمثلت بأشكال هندسية استوحوها من مراقبتهم للفلك والأجرام السماوية وأشكال توزيعها وتشكّلها في قبة السماء. والمخطوطات القديمة التي تتناول عملية الخلق بكافة أشكالها الروحية والمادية، تبدأ بدائرة، نقطة، مثلث، ومربع، الخ، وترتبط هذه الأشكال بأرقام من الواحد إلى التسعة. هكذا ابتدأت أبجدية الرموز على الأرض ومنها تشعبت وانطلقت أشكال وأعداد لا تحصى من الرموز، منها ما بقي مرتبطاً بالأصل ومنها ما شرد وابتعد عن هدف وجود الرمز كتمثيل للحقيقة في عالم الواقع.

كشف الرموز

وجميع هذه المعارف مستمدة من المعرفة الأم، من حقيقة الإنسان وقدره، من الكنز الذي أودعه الله في الإنسان وما زال يحثّه ليكتشفه ويعي كنهه. من معرفة باطن الإنسان، استمدت معرفة العصور، ومن ألوانها اكتست الحضارات الإنسانية المختلفة بحلل تتناسب وكل عصر من العصور. كانت الرموز في بدء وجودها وسيلة لتلخيص واختصار مبادئ وأسس هذه المعرفة. لكن، بعد أن تاه الإنسان عن الدرب القويم، أصبحت الرموز وسيلة لحفظ المعرفة وإخفائها عن العابثين. أما اليوم، وبعد أن حان وقت كشف المعرفة وأسرارها بما يتناسب والمستوى الحالي للوعي الجماعي، ابتدأت علوم الإيزوتيريك تقدّم مفاتيح هذه الرموز. مفاتيح تكشف الحقائق المستترة في أبعاد الرموز المختلفة وتجعل منها وسيلة لشرح مفاهيم أبعد وأعمق.

الحكماء العارفون يكشفون أن لهذه المعرفة القديمة لغة خاصة بها، لغة موحدة حوت مضمون هذه المعرفة، أطلقوا عليها اسم اللغة الكونية UNIVERSAL LANGUAGE. هذه اللغة كانت مؤلفة من رموز. رموز تفهمها كل أمم وشعوب العالم القديم، مثلما يفهم اليوم العالم بأسره الأرقام 1.2.3، ومثلما يُفهم أيضاً معنى الرمز على سبيل المثال. لهذه اللغة أبعاد رمزية سبع. أما اليوم فأسرار هذه اللغة ومفاتيحها السبع هي في يد العارفون والمستنيرون القلائل الذين يعملون على رفع مستوى البشرية لمراقي معرفة هذه اللغة ورموزها.

إن حقيقة لغة الرموز ومضمونها لا تنكشف إلا لمن بلغ الحكمة التي تخوّله امتلاك «مفتاح المعرفة» كما ورد في كتاب الإيزوتيريك «علم المعرفة ومعرفة العلم».

ما تقدّم يجعلنا نستنتج أن الرموز المختلفة عند الحضارات كافة تعود إلى هذه اللغة، لغة المعرفة الواحدة.

أمثلة كثيرة تثبت وحدة مصدر رموز الشعوب المختلفة، وانبثاقها من سابقاتها. فقصة موسى وابنة فرعون ومياه النيل مستوحاة من قصة الملك البابلي سارغون.

كما ومفهوم الأثير أو النار الحية فهو موجود في كافة رموز الشعوب القديمة (النار في شكلها الأولي قبل أن تلامس الأرض). وهي النار المقدسة عند الزردشتيين وبرق الخصب Cybele، نار مشعل ابولو، والـ PHTA RA عند المصريين والنار في عليقة موسى وهي النور الكوكبي عند بعض المدارس، الخ... وهذه جميعها ترمز إلى الفوهات fohat بالسنسكريتية، أو التعبير الأولي للنار الكونية.

تبدل معاني الرموز

على مر العصور، تبدلت مفاهيم الرموز وفقدت جوهر دلالتها. في بعض الأحيان سقطت رموز وظهرت رموز أخرى تعبّر عن معتقدات تغيّر مفهومها عند أصحابها. فهناك مراجع تفيد بأن رفع الأيدي أو الابتهال خلال الصلاة يرمز إلى التقرب من العالم السماوي أو العالم المقدس.

فعلى غرار تحوّل المعرفة إلى طقوس وشعائر، هكذا يتبدّل معنى الرمز عبر العصور ويفقد حقيقة دلالته. ولعل ما قاله الباحث POCOCKE RICHARD يعبّر عن فقدان الرموز لحقيقة دلالتها:

«الميثولوجيا تعتبر اليوم روايات خرافية بمقدار عدم فهمنا لها، وحقيقة بمقدار ما كانت يوماً مفهومة».

مما لا شك فيه إن عصر الوحدة على جميع الأصعدة قادم لا محالة. فبدأت تباشيره تظهر ثقافياً، تجارياً، سياسياً وجغرافياً، ودون شك فكرياً وإنسانياً في المستقبل القريب. فستكتشف مفاهيم جديدة للرموز القديمة وستكتشف مخطوطات قديمة كما يكشف الإيزوتيريك، تكون بمثابة احد مفاتيح المعرفة للمرحلة المقبلة من التطور.

النظر إلى الرموز

كيف ننظر اليوم إلى الرموز وهنا نقصد الرموز التي تعبّر عن الجانب الباطني - الروحي في الإنسان. هل نحن بحاجة إلى الرمز في حياتنا التطبيقية؟ هل ستقدم مفاتيح الرموز التي ستثبت تسلسل انبثاق الرموز من بعضها وستكشف وحدة مصدرها؟

باعتبار أن الإيزوتيريك منهج تطبيقي عملي، فهو يمثل المسار المعاكس لترميز المعرفة. أي أنه يكشف مضمون الرموز ويضعه في إطار تطبيقي يوصل الإنسان إلى تحقيق التقدم عملياً بعيداً عن التنظير، وإلا لتحولت المعرفة التطبيقية إلى مجرّد عادات وطقوس حيث يسقط الفهم من التطبيق.

أما مستقبل الرمز، فهو موجود طالما الإنسان قائم في عالم الازدواجية. فالرمز هو وليد الفكر في عالم النفس وبالفكر تُدرك أبعاد الرمز، إنما ذلك لا يتم إلاّ عن طريق فكر منفتح وحيادي. إن مستقبل وجود الرمز سيكون، ليس لإخفاء المعرفة بل لشرحها وتلخيصها واختصارها عبر رسوم بيانية تفسيرية أكثر منها رمزية، وما مجموعة كتب المعرفة التي كل واحد منها يتخصص بشرح موضوع واحد من منهج المعرفة، كاللون والرقم، كالفكر فالوعي، إلى الذاكرة فالذكاء... ناهيكم عن المخطوطات الإيزوتيريكية التي لم يحن وقت نشرها بعد، وما كل ذلك سوى بداية إزاحة الستارة عن حقيقة مضمون الرموز وارتباطها ببعضها وكشف النقاب عن وحدة مصدرها.

الرمز شكل يعبر عن اللاشكل

الرمز لون، ومدلوله مستوى من التذبذب والوعي.
الرمز نغم، وحقيقة النغم حركة.
الرمز عدد، ومعنى الرمز كامن في الرقم.
الرمز كساء المعرفة في بعد الأرض.
الرمز هو الذرة ومدلوله ذبذبة.
الرمز هو الكلمة وما يرمز إليه هو المعنى، معنى الكلمة.
الرمز رداء الحقيقة في عالم الواقع.
والرمز وهم من منظور الحقيقة التي يرمز إليها.
وتبقى الكلمة الإنسان الرمز الأكبر ومعناه الوعي - الحقيقة المجسدة.